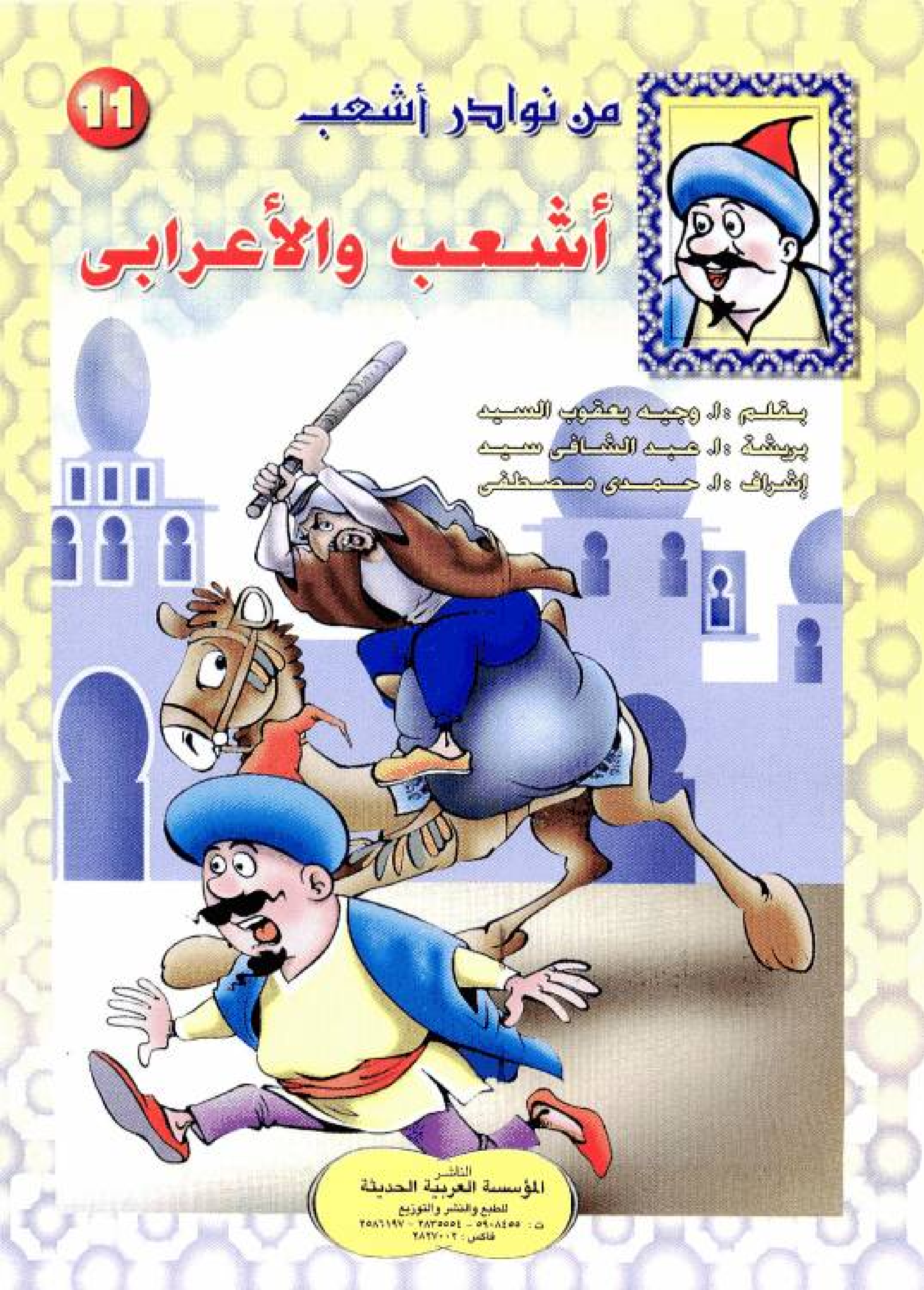

١١
من نوادر أشعب
أشعب والأعرابى
بقلم : ا. وجيه يعقوب السيد
بريشة : ا. عبد الشافى سيد
إشراف : ا. حمدى مصطفى
الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع
ت : ٥٩٠٨٤٥٥ - ٢٨٣٥٥٥٤ - ٢٥٨٦١٩٧
فاكس : ٢٨٢٧٠١٢

من نوادر أشعب

أشْعَبُ الطَّماع

شَخْصِيَةٌ حقيقيَةٌ ، اشْتهرت بالنَّهَم والشَّراهَةِ فى الأكْلِ ، يعْتَبرُهُ الْبعْضُ أميرَ الطُّفَيْليِّينَ بلا مُنَازِع ، حيْثُ يتسلَّلُ إلى كلِّ مائدَةٍ أو احْتِفالٍ أو عُرْسٍ فيه طعامٌ ، دونَ أن يدْعُوه أحدٌ أو ينْتظِرَ دَعْوَةً من أحدٍ .

وعلى الرَّغْمِ من كُلِّ هذا ، فقدْ كان أشْعَبُ شخصيَّةً مَرِحةً محْبوبَةً ، تتَّسِمُ كلُّ مواقِفه بالفُكاهَةِ والضَّحِكِ ، بسببِ ظرفه وخفَّة روحه ومواقِفِهِ الطَّريفَةِ !

أشعب والأعرابى

بقلم : ا. وجيه يعقوب السيد

بريشة : ا. عبد الشافى سيد

إشراف : ا. حمدى مصطفى



اشْتَهرَ أحدُ الأُمَراء بحبِّه الشديدِ للمِزاحِ والمرَح ، ولِذلكَ فَقَدْ كانَ كثيرًا مَا يُرْسلُ إلى أشْعَب ؛ لكيْ يحْضُرَ مَجْلِسَهُ الخَاصَّ . وبَيْنَما هما جالسانِ في حديقةِ قَصْرِه ، إذْ أبْصَرا أعْرابيًا ، ملامِحُه غَريبَةٌ ، وحركاتُهُ تبْعَثُ على الدَّهْشَة ، وهو يُمْسِكُ بِخِطَام الْجَملِ ، وَالأطْفالُ يَجْرُون خلْفَه وهو يَهْرُبُ مِنهمْ .

مالَ الأميرُ على أحدِ حُرَّاسِه وسأله قائلاً :

ـ ما حِكايةُ هذا الرَّجلِ ؟



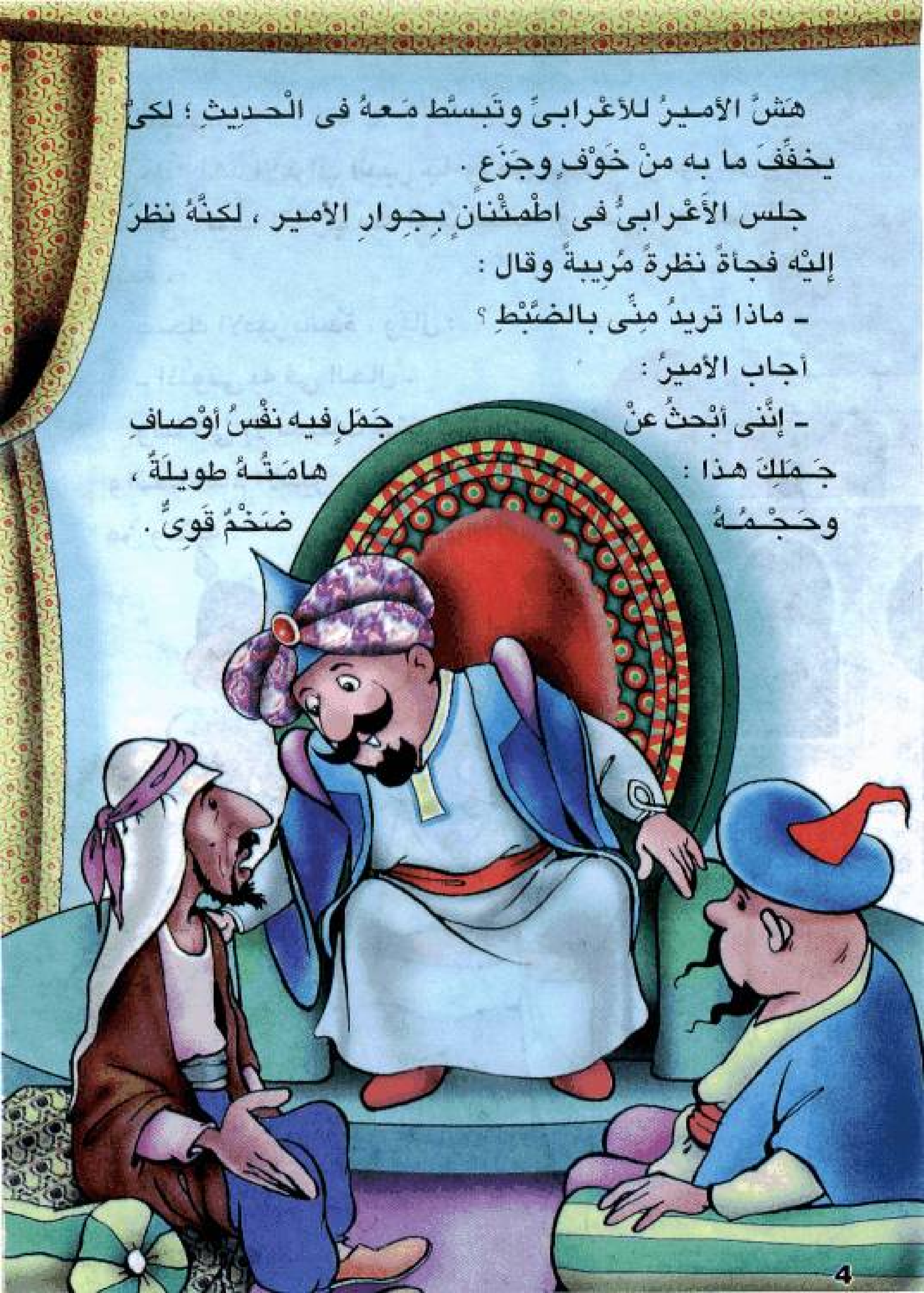
فأجاب :

- إنَّه أحدُ الأعْرَابِ الَّذينَ جَاءُوا من الباديَةِ ، وهو رَجُلٌ أحْمقُ ، كلَّما اقتربَ مِنْه أحدٌ شَتَمه أو ضَرَبَهُ أو عَضَّ أذُنَهُ .

ضَحِك الأميرُ بشدَّةٍ ، وقال :

- ائتُونى به فى الحالِ .

ومَا هِيَ إلا لَحظَاتٌ حتى كان الأَعْرابِيُّ واقفًا أمامَ الأمير ، والشَّرُّ يُشِعُّ مِنْ وجْهِه .



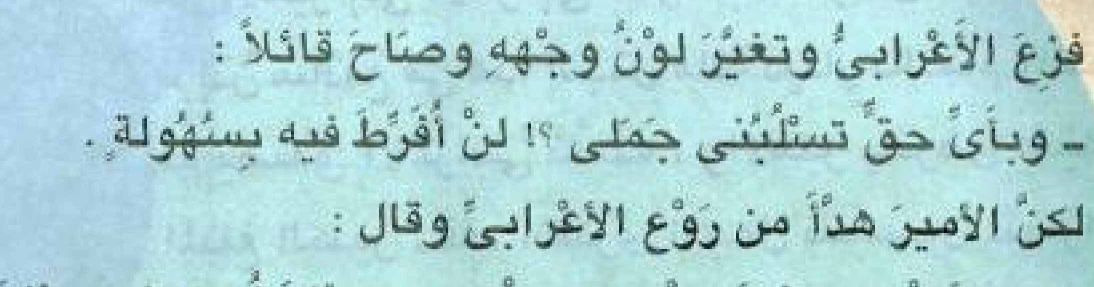
هَشَّ الأميرُ للأعْرابىِّ وتَبسَّط مَعهُ فى الْحديثِ ؛ لكىْ يخفِّفَ ما به منْ خَوْفٍ وجَزَعٍ .

جلس الأَعْرابىُّ فى اطْمئْنانٍ بِجوارِ الأمير ، لكنَّهُ نظرَ إليْه فجأةً نظرةً مُرِيبةً وقال :

- ماذا تريدُ مِنِّى بالضَّبْطِ ؟

أجاب الأميرُ :

- إنَّنى أبْحثُ عنْ جَمَلٍ فيه نفْسُ أوْصافِ جَملِكَ هذا : هامَتُهُ طويلةٌ ، وحَجْمُهُ ضَخْمٌ قوِىٌّ .



فزِعَ الأعْرابىُّ وتغيَّرَ لونُ وجْهِهِ وصاحَ قائلاً :

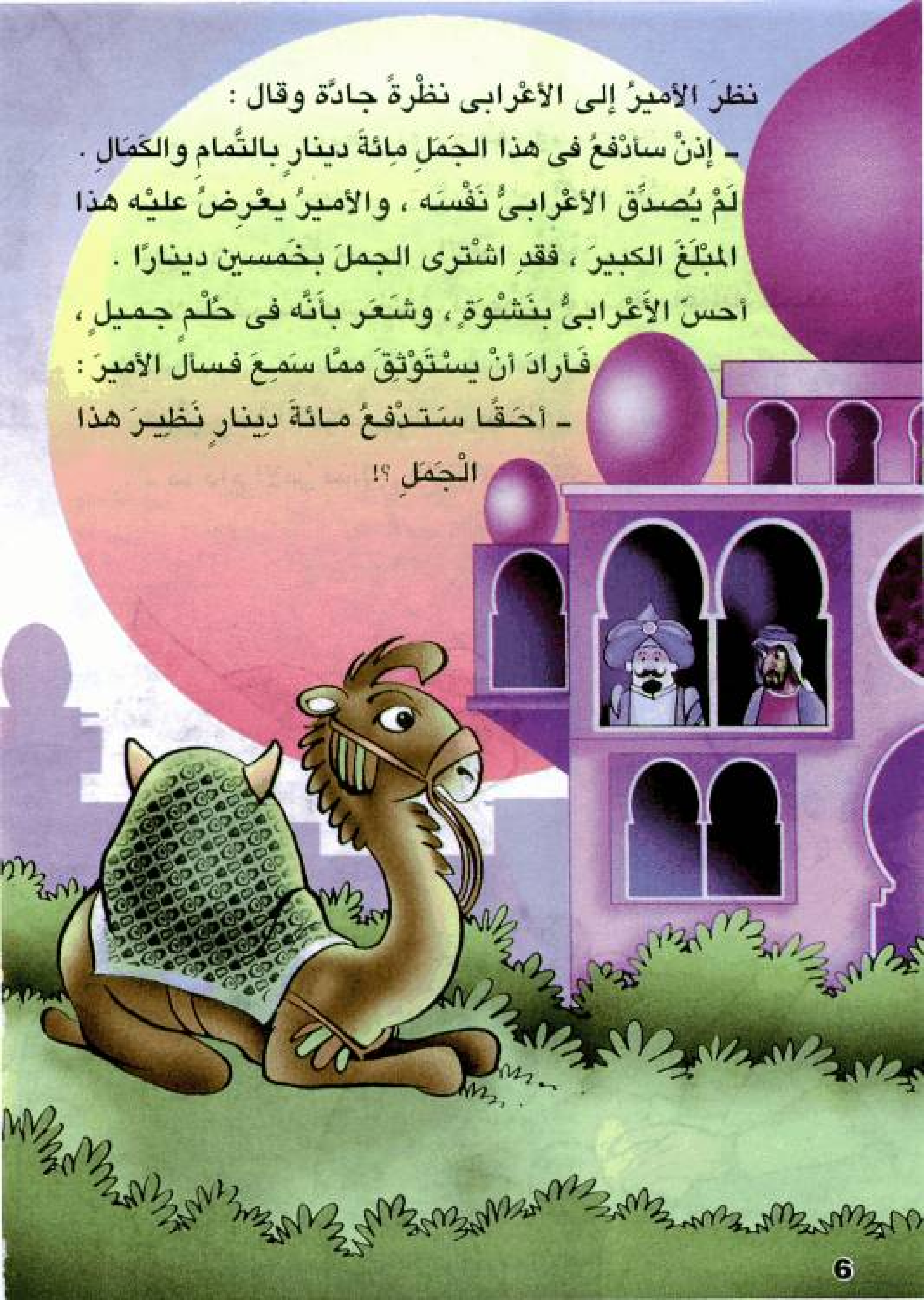
ـ وبأىِّ حقٍّ تسلُبُنى جَملى ؟! لنْ أُفرِّطَ فيه بِسُهُولةٍ .

لكنَّ الأميرَ هدَّأ من روْعِ الأعْرابىِّ وقال :

ـ لا تخَفْ فسوْفَ أشْتريه مِنْك ، وسوْفَ أُعطيكَ ضِعْفَ ثمَنِه .

تهلَّلَ وجْهُ الأعْرابى بِالبشْرِ وقال :

ـ ما دامَ الأمْرُ كذلك ، فلا مانعَ عِنْدِى .



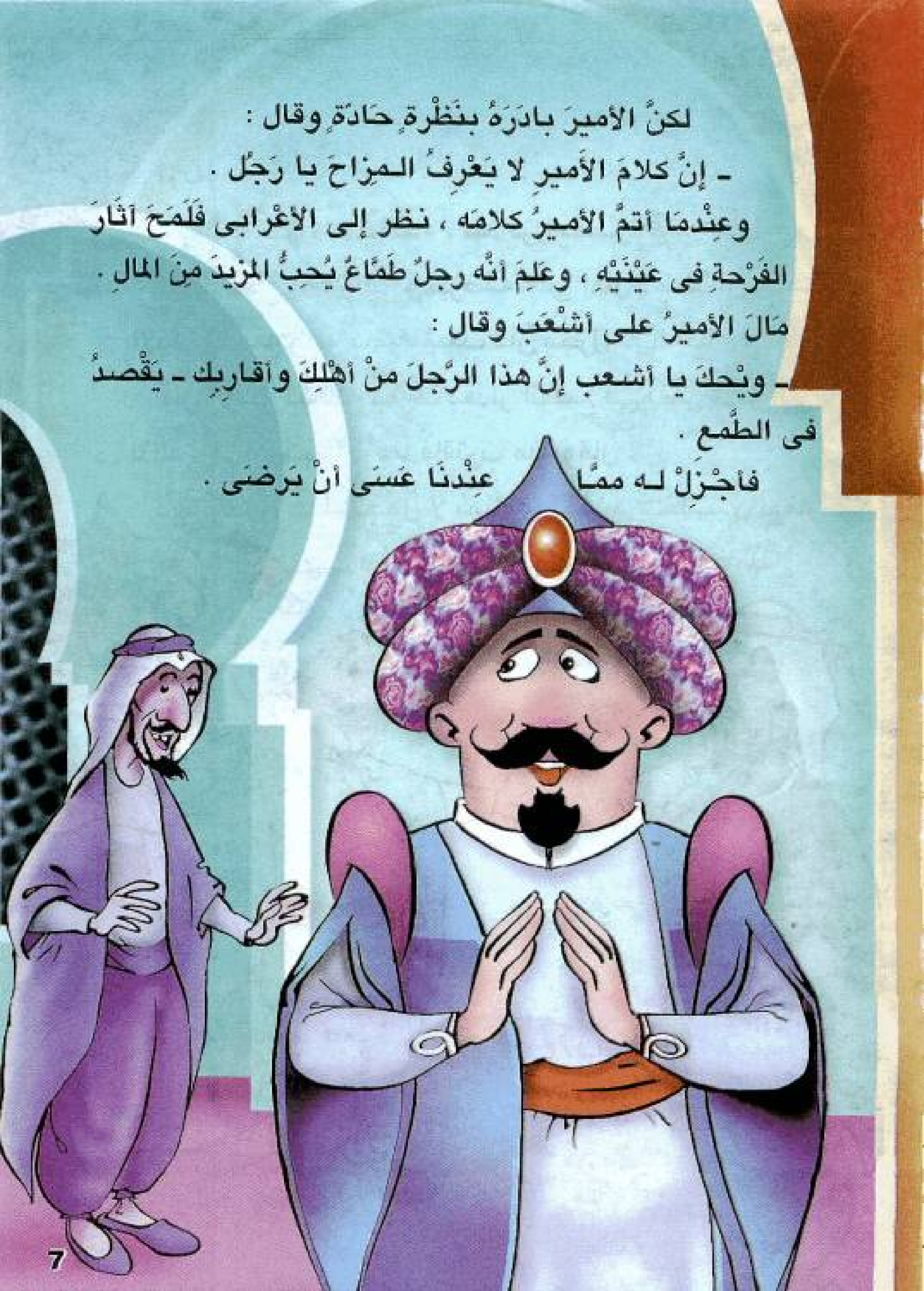
نظرَ الأميرُ إلى الأعْرابى نظْرةً جادَّة وقال :

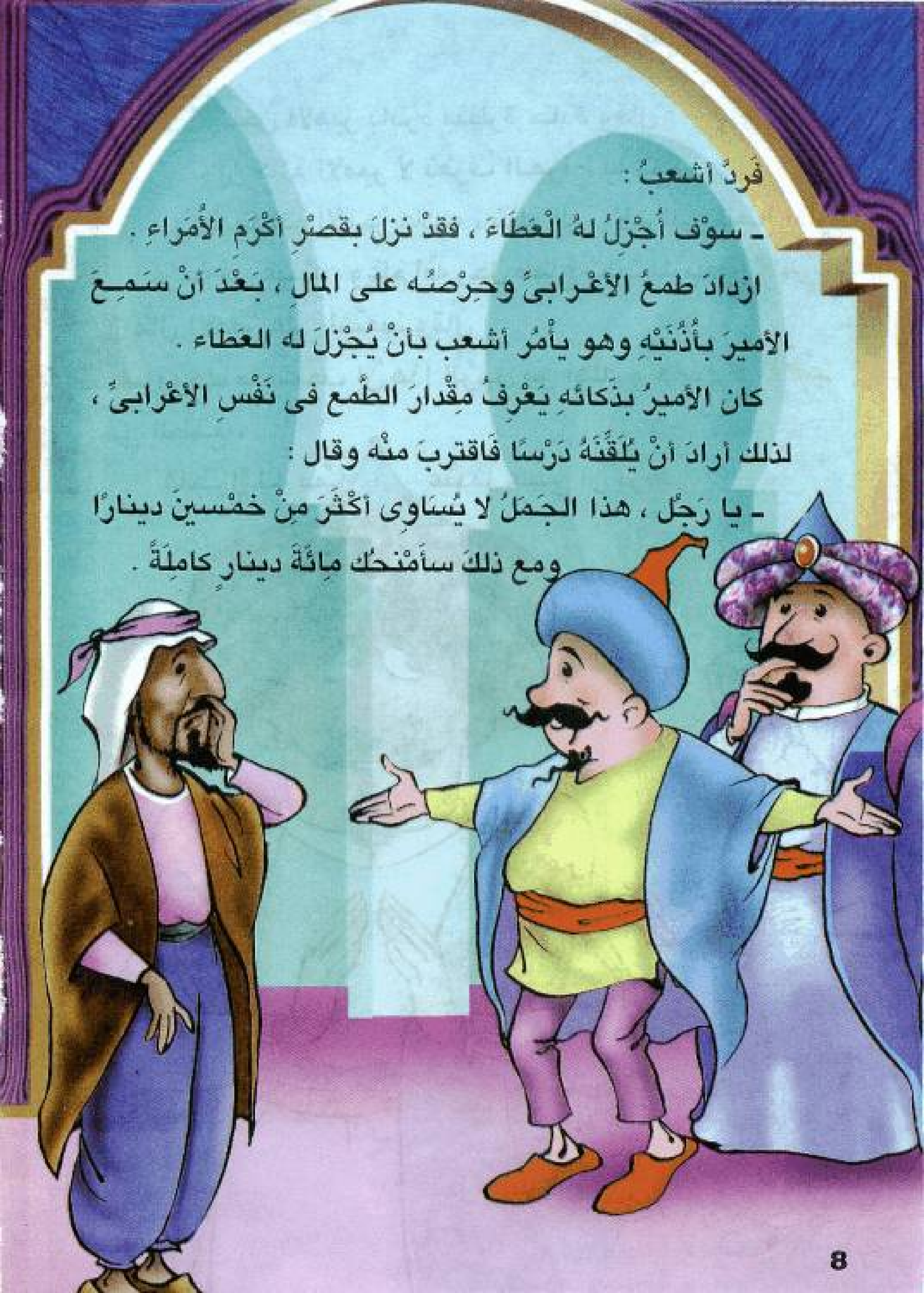
ـ إذنْ سأدْفعُ فى هذا الجَملِ مِائةَ دينارٍ بالتَّمامِ والكَمالِ .

لَمْ يُصدِّقِ الأعْرابىُّ نَفْسَه ، والأميرُ يعْرِضُ عليْه هذا المبْلَغَ الكبيرَ ، فقدِ اشْترى الجملَ بخَمسينَ دينارًا .

أحسَّ الأَعْرابىُّ بنَشْوةٍ ، وشَعَر بأنَّه فى حُلْمٍ جميلٍ ، فأرادَ أنْ يسْتَوْثِقَ ممَّا سَمِعَ فسألَ الأميرَ :

ـ أحَقًّا ستَدْفعُ مائةَ دِينارٍ نَظِيرَ هذا الْجَملِ ؟!


لكنَّ الأميرَ بادَرَهُ بنَظْرةٍ حادّةٍ وقال :
ـ إنَّ كلامَ الأَميرِ لا يَعْرِفُ المزاحَ يا رَجُل .
وعِنْدمَا أتمَّ الأميرُ كلامَه ، نظر إلى الأعْرابى فلَمَحَ آثارَ
الفَرْحةِ فى عَيْنَيْهِ ، وعَلِمَ أنّه رجلٌ طَمَّاعٌ يُحِبُّ المزيدَ مِنَ المالِ .
مَالَ الأميرُ على أشْعَبَ وقال :
ـ ويْحكَ يا أشعب إنَّ هذا الرَّجلَ منْ أهْلِكَ وأقارِبِك ـ يَقْصدُ
فى الطَّمع .
فأجْزِلْ له ممَّا عِنْدنَا عسَى أنْ يَرضَى .



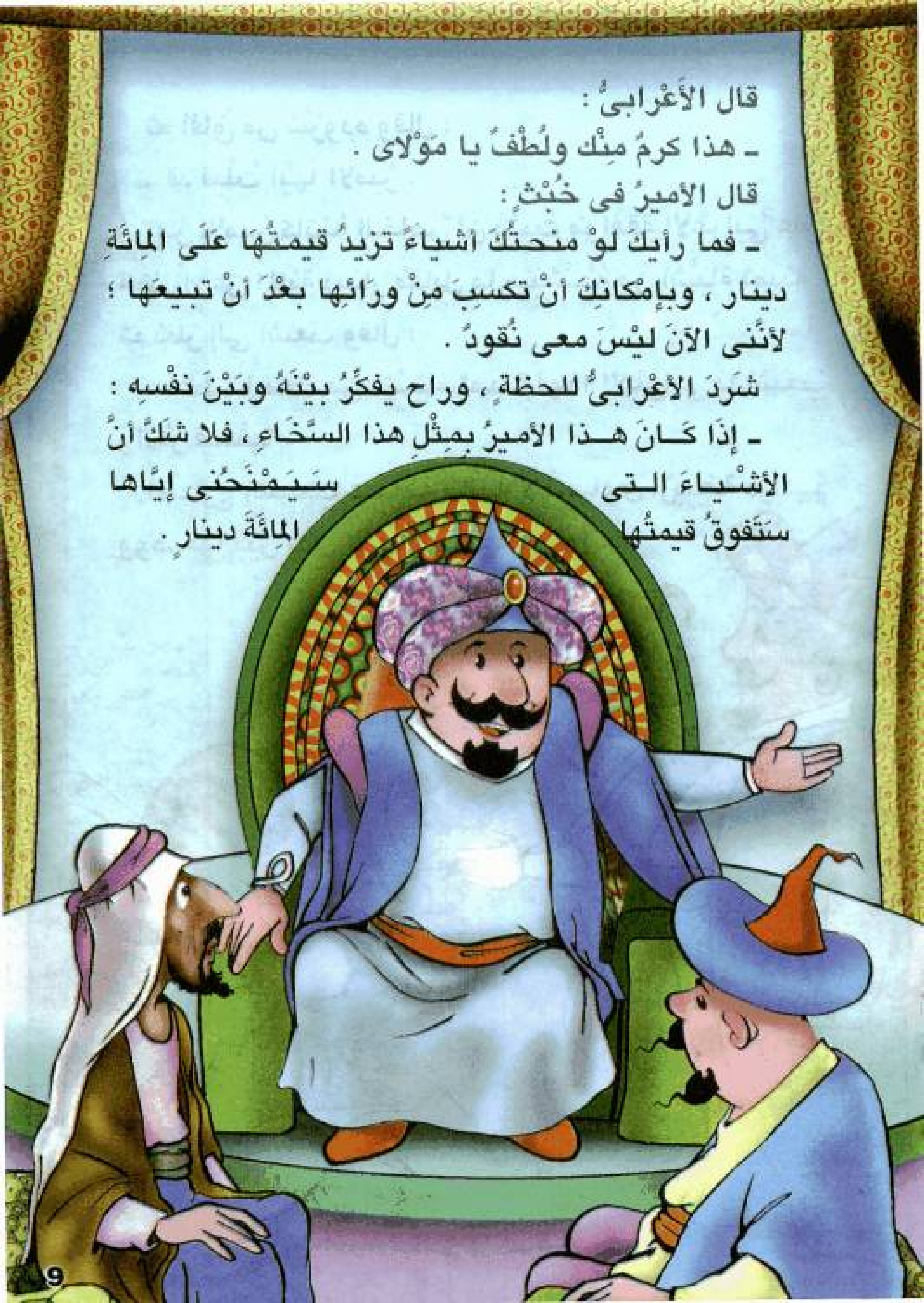
فَرَدَّ أشعبُ :

- سوْف أُجْزِلُ له الْعَطَاءَ ، فقدْ نزلَ بقصْرِ أكْرَمِ الأُمَراءِ .

ازدادَ طمعُ الأعْرابىِّ وحِرْصُه على المالِ ، بَعْدَ أنْ سَمِعَ الأميرَ بأُذُنَيْهِ وهو يأمُرُ أشعب بأنْ يُجْزِلَ له العَطاء .

كانَ الأميرُ بذَكائهِ يَعْرِفُ مِقْدارَ الطَّمعِ فى نَفْسِ الأعْرابىِّ ، لذلك أرادَ أنْ يُلَقِّنَهُ دَرْسًا فَاقتربَ منْه وقال :

- يا رَجُل ، هذا الجَمَلُ لا يُساوِى أكْثَرَ مِنْ خمْسينَ دينارًا ومع ذلكَ سأَمْنحُك مِائَةَ دينارٍ كامِلَةً .



قال الأَعْرابىُّ :

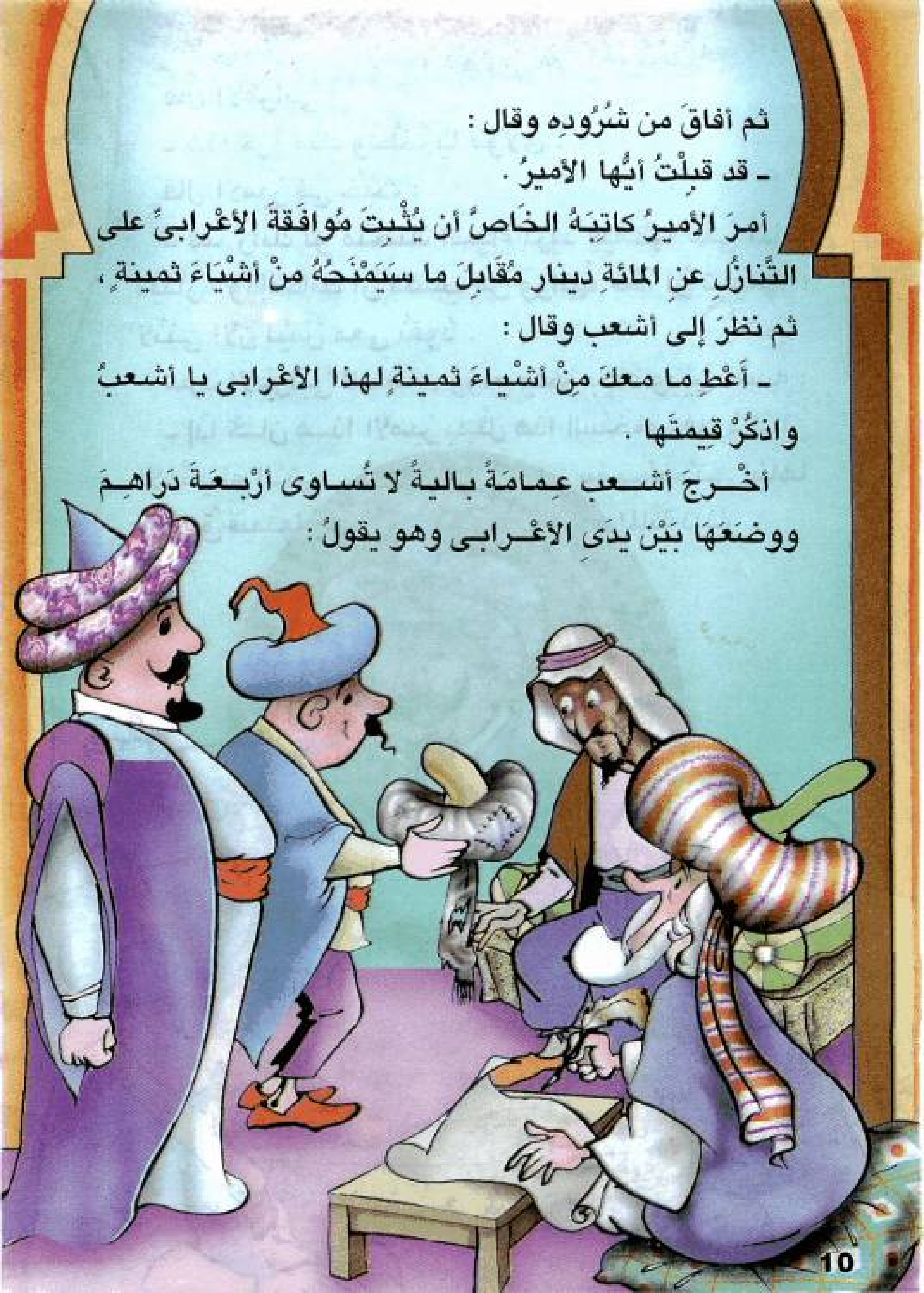
ـ هذا كرمٌ مِنْك ولُطْفٌ يا مَوْلاى .

قال الأميرُ فى خُبْثٍ :

ـ فما رأيكَ لوْ منحتُكَ أشياءً تزيدُ قيمتُها علَى المِائَةِ دينار ، وبإمْكانِكَ أنْ تكسِبَ مِنْ ورائِها بعْدَ أنْ تبيعَها ؛ لأنَّنى الآنَ ليْسَ معى نُقودٌ .

شَرِدَ الأعْرابىُّ للحظةٍ ، وراح يفكِّرُ بيْنَهُ وبَيْنَ نفْسِه :

ـ إذَا كَـانَ هـذا الأميرُ بمِثْلِ هذا السَّخَاءِ ، فلا شَكَّ أنَّ الأشْياءَ الـتى سَيَمْنَحُنِى إيَّاها سَتَفوقُ قيمتُها المِائَةَ دينارٍ .



ثم أفاقَ من شرُودِهِ وقال :

- قد قبِلْتُ أيُّها الأميرُ .

أمرَ الأميرُ كاتِبَهُ الخَاصَّ أن يُثْبِتَ مُوافَقَةَ الأعْرابىِّ على التَّنازُلِ عنِ المائةِ دينار مُقَابِلَ ما سيَمْنَحُهُ منْ أشْياءَ ثمينةٍ ، ثم نظرَ إلى أشعب وقال :

- أَعْطِ ما معكَ مِنْ أشْياءَ ثمينةٍ لهذا الأعْرابى يا أشعبُ واذكُرْ قِيمتَها .

أخْرجَ أشعب عِمامَةً باليةً لا تُساوى أرْبعَةَ دَراهِمَ ووضَعَهَا بَيْنَ يدَىِ الأعْرابى وهو يقولُ :

ـ عِمامةُ الأميرِ ، الَّتى يشْهَدُ فيها الأعْيادَ ، ويُصلِّى فيها الْجُمَعَ ، ويَلْقَى فيها الخُلفاءَ .. ثمنُها خمسونَ دينارًا .

لمْ يكدْ يُتمُّ أشعبُ كلامَهُ حتَّى كان الأعْرابيُّ قدْ همَّ بالْهرَبِ ، لكنَّ الأميرَ أشارَ إليْهِ بالبقاءِ انتِظارًا للمُفاجأةِ ، ونصَحَهُ بعَدَمِ الاسْتِعْجالِ .

ثُمَّ خاطبَ أشعبَ فى جِدِّيَّةٍ قائلاً :

ـ أكْرِمْ هذا الأعْرابىَّ يا أشعب ، ولا تَزِدْ عليْهِ فى الثَّمنِ .

فأخْرجَ أشْعبُ قَلَنْسُوَةً طَويلةً مُمَزَّقةً ، قَدْ عَلاها الدُّهْنُ ، ولا تَزيدُ قيمتُها على نِصْفِ دِرْهمٍ ، وقال وهو يَتصنَّعُ الجِدِّيَّةَ :





ـ قَلَنْسُوَةَ الأميرِ تَعْلُو هَامَتَهُ ، ويُصَلِّى فيها الصلَواتِ الخَمْسِ ، ويجلسُ فيها للحكمِ .. وثمنُها ثلاثون دينارًا فَقَطْ ، إكرامًا لهذا الضَّيْفِ .

نَظَرَ الأميرُ إلى أشْعب وقَالَ ـ وهو يُخْفى ابْتِسامَتَهُ :

هَاتِ ما عِنْدكَ يا أشعبُ إكْرامًا لهذا الرَّجُلِ الطَّيِّب .

فأخْرجَ أشعبُ خُفَّيْنِ قَديمَيْنِ قَدْ تَمزَّقا وتَفَتَّقا ثُمَّ قال :

ـ خُفَّا الأمير وثَمنُهَا أربعون دينارًا .

ثُـمَّ لَـمْ يلبَثْ أن وضَعَهُما أمامَ الأعْرابىِّ بجوار العِمامةِ والقَلَنْسُوَةِ وهو يقول :

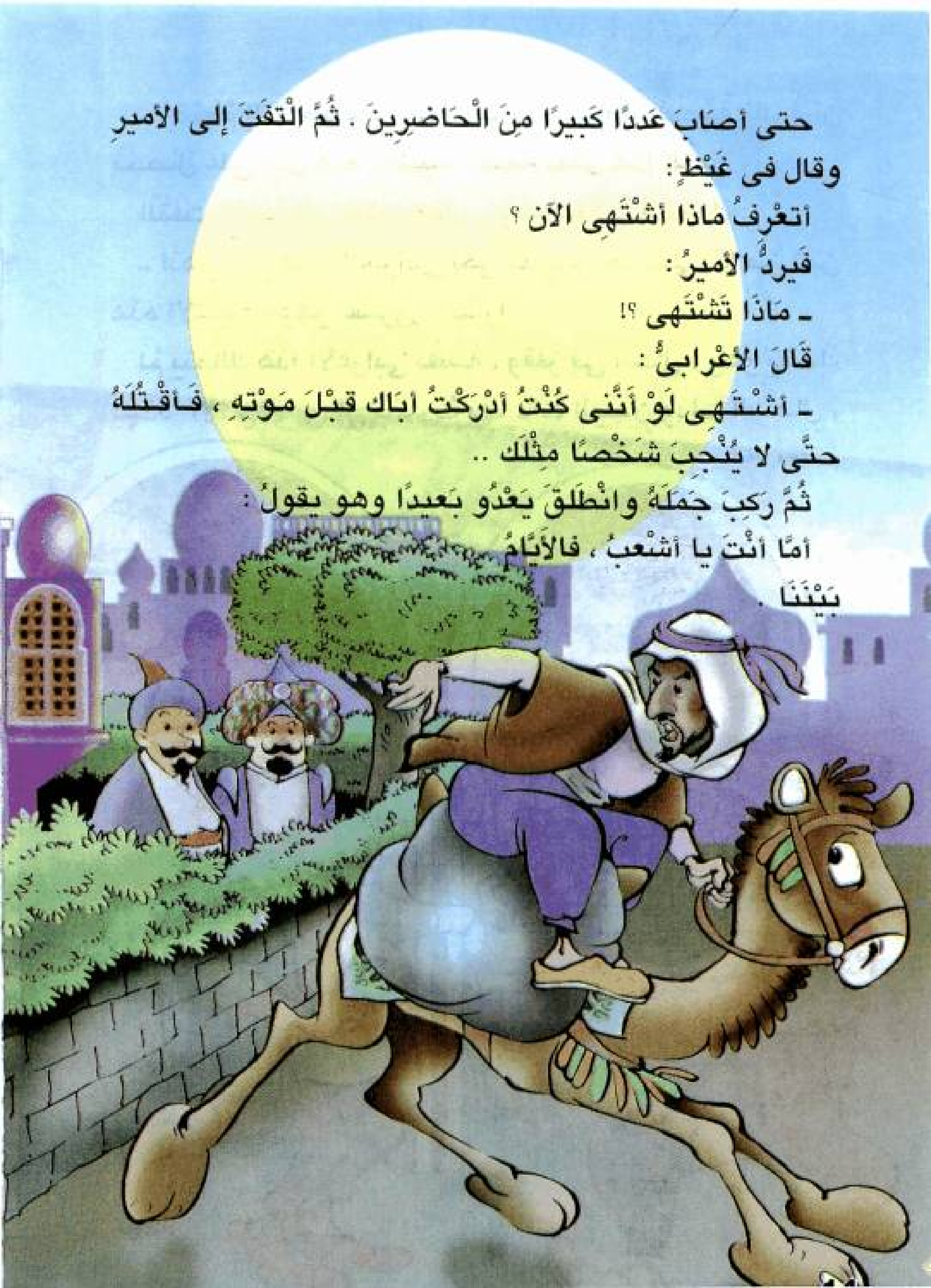
- اضْمُمْ إليكَ مَتَاعَك أيُّها الأعرابيُّ ، فَإنَّها فُرصَةٌ نَادِرةٌ أنْ تَحصُلَ على مِثْل هذه الأشْياءِ القيِّمةِ بمثلِ هذا الثَّمنِ .

الْتَفَتَ الأميرُ إلى كَاتبهِ وقال - وهو يُغالبُ الضَّحِكَ :

- اذهَبْ مع هذا الأَعْرابِيِّ لكيْ تَقْـبِضَ مَـا بقِيَ لنا مِنْ ثمن هذه الأشْياءِ ، وهوَ عِشْرون دِينَارًا .

لَمْ يتمَالَك هَذَا الأعْرابيُّ نفْسَهُ ، وقَفَزَ فى الحالِ ، وهو يُمْسِكُ بهذه الأشْياءِ ، وراح يَضْرِبُ بها ذَاتَ اليمِينِ وذاتَ الشِّمالِ ،





حتى أصابَ عددًا كبيرًا مِنَ الْحاضرِينَ . ثُمَّ الْتفتَ إلى الأميرِ وقال فى غَيْظٍ :

أتعْرِفُ ماذا أشْتَهِى الآن ؟

فَيردُّ الأميرُ :

ـ ماذا تَشْتَهى ؟!

قَالَ الأعْرابىُّ :

ـ أشْتَهِى لَوْ أَنَّنى كُنْتُ أدْرَكْتُ أبَاك قبْلَ موْتِهِ ، فأقْتُلَهُ حتَّى لا يُنْجِبَ شَخْصًا مِثْلَك ..

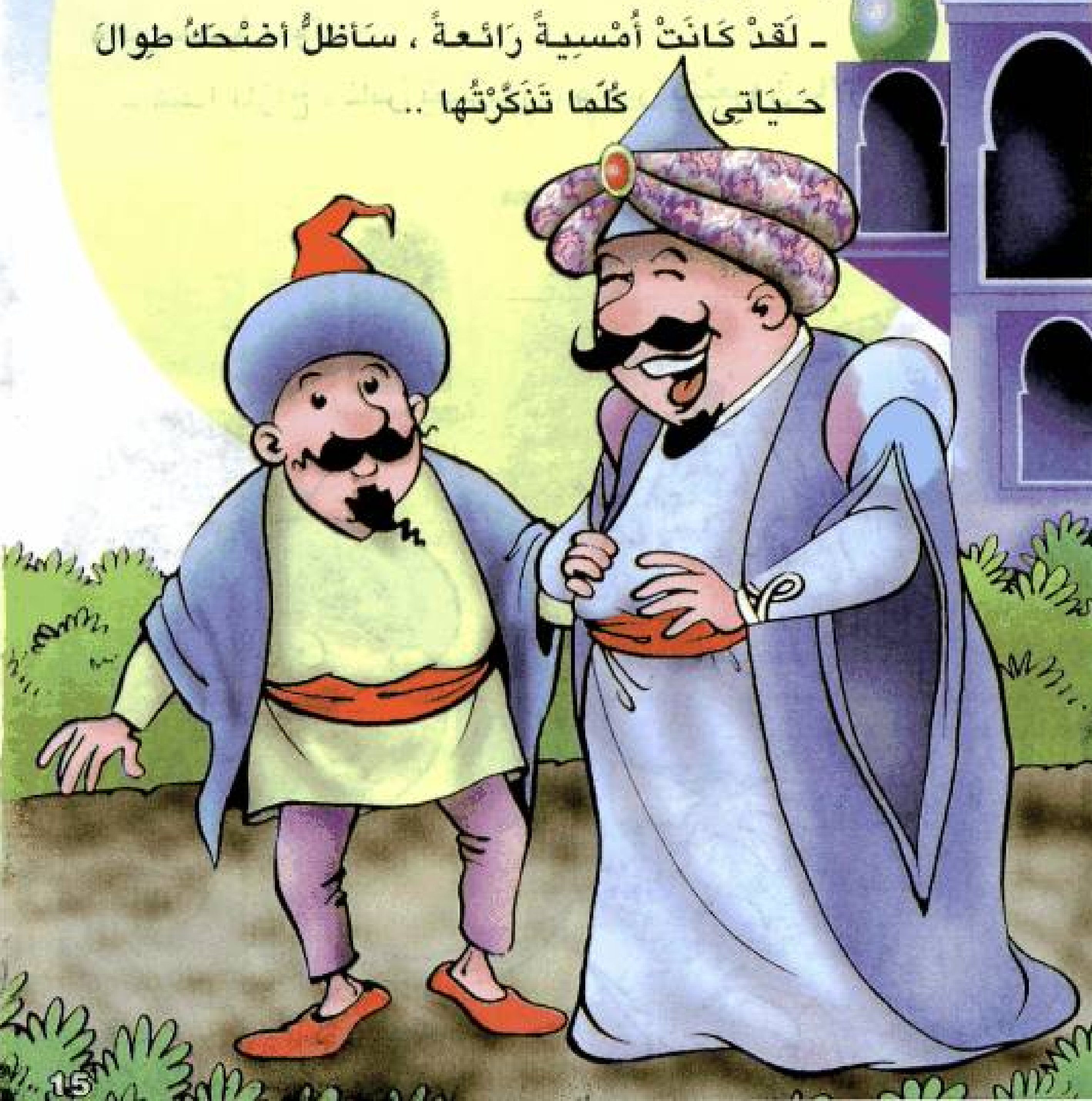
ثُمَّ رَكِبَ جَمَلَهُ وانْطَلَقَ يَعْدُو بَعيدًا وهو يقولُ :

أمَّا أنْتَ يا أشْعبُ ، فالأيَّامُ بَيْنَنَا .

بَقِىَ الأميرُ فى حَدِيقةِ قَصْرِه ، وهو لا يَكادُ يتَوقَّفُ عنِ الضَّحِكِ ، بيْنَما كَانَ أشعبُ يَضْحكُ ضَحكاتٍ مَمزُوجَةً بِالخَوْفِ ، بسببِ ما قَدْ يُصيبُهُ مِنْ هذا الأعْرابىِّ الأحْمَقِ ..

لكنَّ الأميرَ الذى لَمْ يكُنْ يَعْنِيهِ سِوَى المِزاحِ والضَّحِكِ رَبَّتَ على كَتِفِ أشْعب وقال :

ـ لَقدْ كَانَتْ أُمْسِيةً رَائعةً ، سَأظلُّ أضْحكُ طِوالَ حَيَاتِى كُلَّما تَذَكَّرْتُها ..



مرَتِ الأيَامُ مُسْرِعةً ، وبَعْدَ مُدَةٍ أبْصَرَ الأعْرابىُّ أشْعبَ وهو يَسِيرُ فى الطَّريق ، فَأسْرَعَ نَحْوَهُ وقَذفَهُ بِوابلٍ مِنَ الحِجارةِ وانْهالَ عليْهِ ضَرْبًا بالْعَصَا وهو يَقولُ :

ـ هذه المرَّة ثَمنُها ثَلاثُونَ دينارًا فَقَطْ ، ولكَ عِنْدى تِسْعونَ ..

لكنَّ أشْعبَ أطْلَقَ ساقَيْهِ للرِّيحِ وهو غَيرُ مُصَدِّقٍ لما يحدُثُ ، وهو يُتَمتِمُ بقوْلهِ :

ـ هكذا المِزاحُ ، نَاسٌ يُضرَبونَ ، ونَاسٌ يَشْعُرونَ بالارْتياحِ ..

(تمت)

رقم الإيداع : ١٦٥٠

الترقيم الدولى : ٦ ـ ٣٠٦ ـ ٢٦٦ ـ ٩٧٧

